محمد شحرور ومدرسته

في ميزان الإسلام

د. محمد بديع موسى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شحرور ومدرسته في ميزان الإسلام

د. محمد بن بديع موسى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

ففي وصية شحرور – المنسوبة إليه – والتي تلخّص منهجه استوقفتني عبارة: "شرفٌ لي أن أموتَ ويرتبط اسمي بدراسة القرآن، لم أقتُل شعباً، ولم أسرق ثروةً كما كان لي الحق أن أقول في معاني القرآن كيفما أريد؛ فللناس الحق أن يقولوا فيما قلتُهُ ما يريدون".

وأنا لا أتردد في ذكر قول الله تعالى بأمثاله: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا).

كم هو غرورٌ واستعلاء وجهل أن يجعل كلام الله الذي (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) أن يجعله مثل كلامه، فكما للناس الحق أن يقولوا في كلامه ماشاؤوا ويأخذوا منه ويذروا، فكذلك– برأيه– لهم الحق أن يقولوا في كلام الله جل وعلا ماشاؤوا!!0

ويحضرني – بهذه المناسبة– كلامٌ لجودت سعيد بعد أن سمع محاضرة لقرينه شحرور وسُئل عن رأيه فيما قال، فقال: "ليجتهد الشحرور، وليجتهد العصفور، وليجتهد الجميع، المهم أن نفكر ونجتهد ولا نقف جامدين، فالواقع والتاريخ سيثبت أو ينفي صحة اجتهاداتنا!!".

وسأبيّن وباختصار أنّ ما يفعله شحرور وأطنابه من هذا التطاول على كلام الرب سبحانه، وعلى السنة النبوية وثوابت الدين؛ أسوأ في حُكم الله من الذي يقتل شعباً أو يسرق ثروةً.

فهؤلاء (اللاعقلانيون) لا يبالون أن يناطحوا الجبال، ويستعلوا على القمم العلمية الشاهقة وأئمة الإسلام الذين جدّد الله بهم الدين، وحفظ الشريعة (كالبخاري ومسلم وأحمد والشافعي وغيرهم) ويزدروا بكنوز التراث الإسلامي وفقهه وأصوله وقواعده، بل ويتطاولوا على كلام الله عز وجل – وهو صفةٌ من صفاته–، فيحرّفوه كما تمليه أهواؤهم الفاسدة، أو كما يملي عليهم أعداء الله المتربصون بهذه الأمة، ثم يستترون وراء مصطلح: (مفكر إسلامي) !! وهم من أجهل الناس حتى باللغة العربية التي نزل القرآن بها، ويسمّون كذبهم وافتراءهم وطعنهم بالدين دراسةً وفهماً يتناسب مع روح العصر ومتطلباته!!، ويلبّسون على الناس بعبارات برّاقة مزخرفة، كأن يقولوا: نريد أن نقرأ القرآن بعيوننا لا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بعيون الطبري والشافعي والسابقين، لا نريد أن نؤجر عقولنا للآخرين، ومثل تلك العبارات.. ليسوّقوا ضلالهم وزندقتهم عند عوام الناس وجهّالهم.

فها هو شحرور يصرّح بلا خجل ولا وجل أنه يخترق الثوابت – وخاصة في الفقه وأصوله– مما مضى عليه سلف الأمة وخلفهم، ويسمي ذلك (تجديداً)!!.

يقول في مقدمة (منهجه المتّبع في التعامل مع التنزيل الحكيم): "سيكتشف القارئ من خلال هذا الدليل معنى ومحتوى القراءة المعاصرة التي تم التوصل إليها بفضل اختراق الكثير مما يسمى الثوابت في المنظومة التراثية، وخاصة ما يسمى الفقه وأصوله؛ التي وصفها أناس عاشوا في القرون الهجرية الأولى، وهي برأينا لا تحمل أي قُدسية، لهذا نحن مقتنعون بأننا لن نتمكن من تجديد الفقه والفكر الديني عامة إذا لم يتم اختراق هذه الثوابت المتجاوزة معرفياً، ونوردُ في نفس السياق مقولة آينشتاين الشهيرة: "إن لمن الحماقة أن تعتقد أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرر الشيء نفسه".

ورحم الله ابن دقيق العيد الذي قال:

يقولون هذا عندنا غيرُ جائزٍ فمن أنتمُ حتى يكون لكم عِندُ؟!

إن الثوابت التي يشير إليها هذا المأفون تستند عند أهل السنة والجماعة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي برأيه لا تحمل أي قُدسية، لكن أقوال أفلاطون وآينشتاين وديكارت وأرسطو وأمثالهم هي الثوابت المقدّسة التي لا يمكن اختراقها أو تجاوزها عندهم!!

لقد مضى عهد التشريع الإلهي في فكر شحرور وأقرانه تماشياً مع تطور المجتمعات!!.

يقول في مقدّمته: "أما التشريع فإننا نجد الإنسانية تعيش مرحلة التشريع الإنساني بعد انتهاء مرحلة التشريع الإلهي مع الرسالة الخاتمة التي جاءت للرسول صلى الله عليه وسلم بالحنيفية"

ونحنُ إذ نقرأ قوله تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) [آل عمران :7] نفهم أن الآيات المُحكَمات لا يطالها التأويل، كما هو مقرّر عند أهل العلم. أما هؤلاء فنراهم بجرأتهم أوّلوا كل شئ، أو قل: حرّفوا الثوابت المعلومة من الدين بالضرورة، فهذا (محمد حبش)– مثلاً– ينكر عذاب النار يوم القيامة بالكلية!! وهو يعلم أن الآيات التي صرّحت بذلك في غاية الوضوح والإحكام، فيقولُ في مقالٍ له: "قد تكون آيات النار أكثر الآيات صُراخاً في مسمع المسلم الثائر وهو يبحث عن إيمانٍ

فيه قرة قلبه، وطمأنة فؤاده، وهو الجانب الوحيد من العقيدة الذي لا أستطيع أن أُقنع فيه طفلاً صغيراً، وأجد نفسي تائهاً في دروب الحَيرة، يعصِف بي الشك والظنون بين عدالة الله وصدق وعيده" ويستطرد قائلاً: "ثقافة النار برمّتها تحتاج إعادة نظر إن كنا نريد أن نبقى مؤمنين، والعصر هذا لا يحتمل الأجوبة الترقيعية"!!

قلت : وهل يريد أن تبقى مؤمناً؛ وهو لايؤمن بمثل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الأعراف 36 ؟!!

وهكذا نجد جرأة هؤلاء على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، إذ لا يجدون من يُلجمهم أو يثنيهم عن دعوتهم، أو يعاقبهم، بل – وللأسف– يجدون من يسمع لهم، ويروّج لأفكارهم، ويدعمهم بكل أنواع الدعم!!حتى أخبرني قريب لشحرور أنه أخبره مرة أن بعض كتبه المعروفة لم يكتبها هو بالأصل ولم يطلع عليها. !!!!

وليس غريباً أن تنبت هذه النابتة في عصرنا، فقد أخبر عنها نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنَّ بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيّامًا، يَنْزِلُ فيها الجَهْلُ، ويُرْفَعُ فيها العِلْمُ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ والهَرْجُ: القَتْلُ) – متفق عليه–.

لقد حاول أعداءُ الله على مرّ العصور تحريف كلام الله عن مراده ليوافق أهواءهم وآراءهم الفاسدة، وها هم اليوم يحاولون ويتشدقون بأنه قديم لا يصلح لهذا العصر، فلا بد من التجديد فيه تماماً كما قال المشركون الأولون: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [النحل :25].

لكن القرآن بقي بحفظ الله له، وأهل القرآن يقرؤونه ويتدبرونه على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، ويعملون بما فيه (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[الإسراء 81].

قال ابن القيم رحمه الله: "فأصلُ خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يُرده الله ورسوله بكلامه، ولا دلّ عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل، وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، فمن بابه دُخل إليها، وهل أُريقت دماء المسلمين في الفتنة إلا بالتأويل؟".

وإذا كنتَ تعلم أن تأويلهم للقرآن الكريم لا يصفو لهم حتى يطعنوا بالسنة النبوية – التي جاءت تفسّر القرآن وتبيّن مجمله وتوضح مشكله – فسوف تعلم لماذا يطعنون برواة السنة النبوية كالبخاري ومسلم وأبي هريرة وغيرهم، ويطلقون العبارات التي تخدع العوام وتفتح قلوبهم لضلالاتهم وزندقتهم كقولهم: أوروبا نهضت ولا تعرف البخاري ولا مسلم!! يعني: وما حاجتنا إلى هذه الكتب وهذا التراث القديم؟!

وهكذا يتسابق هؤلاء المرجفون ليكونوا خناجر في أيدي أعداء الإسلام يطعنون به هذا الدين بكل خسّة وجرأة، تأمل فزلكة شحرور التي يطعن فيها برسالة النبي صلى الله عليه وسلم كلها ويرى أنها جاءت لمن عاصره فقط، يقول: "فإن الرسول لا يحرّم ولا يحلّل، وإنما يأمر وينهى، وكل نواهيه ظرفية وليست وحياً وكانت بمثابة القانون المدني الذي سنّه لمجتمعه بناء على اجتهاده الإنساني كقائد أعلى للمجتمع، لذا فإن اجتهاداته ليست وحياً وجاءت طاعته فيه طاعة منفصلة، أي: واجبة لمن عاصره من أفراد مجتمعه فقط"!!

وهكذا فهو يفهم قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[الحشر: 7] أنها ليست لكل المسلمين وإنما للصحابة فقط، وأن القرآن –كما زعم قرينه محمد حبش– لا يصلح لكل زمان ومكان!!.

فأين هؤلاء من قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل 44] قال البغوي رحمه الله: أراد بالذكر الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً للوحي، وبيان الكتاب يُطلب من السنة.

روى أبو داود وغيره بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلُه معه ، ألا يُوشِكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِه يقول : عليكم بهذا القرآنِ ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموهُ ، وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ كما حرَّمَ اللهُ).

فها قد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن هؤلاء الذين نراهم اليوم يعبثون بثوابت الأمة، ويضربون بكنوز تراثها عرض الحائط، ويغمزون بأئمة الدين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، ويقدّسون الغرب وكل ما جاء من عنده على عُجره وبجره، ويعظّمون رؤوس الكفر،

ويثنون على إنسانيتهم وحفاظهم على حقوق الإنسان وهم يرون صباح مساء ماذا يفعلون بالإنسان (إن كان مسلماً)، وكيف يتبارون في قتله، ونهب ثرواته، وخيرات بلاده.

يلبسون لبوس الدين، والدين منهم براء (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام 144]أي: لا أظلم ممن افترى الكذب على الله ليضل الناس عن منهج الحق، لا الذي يقتل شعباً، ولا الذي يسرق ثروة.

فاحذر أخي المسلم من هؤلاء الطاعنين بالقرآن والسنة، لا تلتفت إليهم، ولا تستمع إلى أراجيفهم وأباطيلهم، فإن سُئلت عن شبهة من الشبهات التي يضللون بها العامة، فاسأل أهل العلم بالكتاب والسنة فالله عز وجل يقول: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [النساء 83] فشبهاتهم قديمة ساقطة لم يأتوا منها بجديد حقاً، واضبط فهمك لنصوص القرآن الكريم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم – الموحى إليه – وأقوال أصحابه الذين أخذوا مباشرة عنه فهم أعلم الخلق بمراد الله من كلامه. هذا عبدالله بن مسعود يقول فيما رواه البخاري عنه: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته". ويقول عن ابن عباس: نِعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس. وقد مات عبدالله بن عباس بعد ابن مسعود بستٍ وثلاثين سنة، فانظر كم جمع من العلوم بعده!!

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: (اللهم فقّهْهُ في الدّين وعَلّمْهُ التأويل)، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "أيُّ أرضٍ تُقلّني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم"

هؤلاء هم سلف هذه الأمة الذين شهد الله لهم بالخيرية ورضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم الذين بنوا حضارة إسلامية ماجدة ما عرفها التاريخ بعدهم. وهم الذين انتفعوا بهذا القرآن العظيم، أما أولئك الخلف؛ فهم الذين أعمى الله بصائرهم وقلوبهم به (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) [فصلت: 44].

والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن بديع موسى

4جمادى الأولى 1441 هجري – 2019/12/30م